



أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه

سؤال القبر

خطبة جمعة

2025-11-07

سورية - دمشق

مسجد عبد الغني النابلسي

يا ربنا لك الحمد، ملء السماوات والأرض، وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا مُعطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، عني كل فقير، وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومقرع كل ملهوف، فكيف نفتقر في غناك، وكيف نضل في هدايتك، وكيف نضام في سلطانك، وكيف نخشى غيرك، والأمر كله إليك، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسلته رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً، ليخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات، فجزاه الله عنا خير ما جزي نبياً عن أمته.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواج سيدنا محمد، وعلى ذرية سيدنا محمد، وسلم تسليماً كثيراً.

مقدمة:

وبعد أيها الإخوة الكرام: ربما تحاور رجلان في مسألة من المسائل، وكان لهما في المسألة الواحدة اتجاهان مختلفان، والسبب في هذا الاختلاف نقص المعلومات، بمعنى أن معلومة عند أحدهما لم تبلغ الرجل الآخر، وهذا الاختلاف الناتج عن نقص المعلومات أمر طبيعي، هكذا هي الحياة.

وربما تحاور آخران واختلفا في التوجه، مع أنهما يملكان المعلومة نفسها، ولكنهما اختلفا في فهم هذه المعلومة، فكل منهما فهم المعلومة بطريقة مختلفة عن الآخر، وهذا أيضاً طبيعي، فنحن بشر والبشر قد يختلفون في مسائل، لكن لربما تجادل اثنان واختلفا وتنازعا، لا لإشكال في المعلومات، فالمعلومة موجودة عند كليهما وفهما واضح لا يخفى على أحد، ولكن الاختلاف كان لهوى النفس، وانتصاراً للذات، وتشبهاً برأي الجماعة التي ينتمي إليها، وتدين لها بالولاء، وهذا هو غير الطبيعي، وغير الشرعي، وغير الموضوعي، أن نختلف انتصاراً لذاتنا، أو تشبهاً برأينا، أو رغبة في إفحام الطرف الآخر، أو ولاءً لجماعتنا من دون منهج الله تعالى، هذا هو الاختلاف المذموم، الذي لا ينبغي أن يكون بين المسلمين، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا تَعْرِفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا يَبْتَغِي مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لِّقَصِي بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُّرِيبٍ (14)

(سورة الشورى)

الاختلاف المذموم لا ينبغي أن يكون بين المسلمين:

(وَمَا تَفَرَّقُوا) كانوا مجتمعين، (إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ) لم يكن تفرقهم ناتجاً عن نقص المعلومات، بل الآن جاءت المعلومات، لم يكن تفرقهم ناتجاً عن نقص المعلومات، ولكنه ناتج عن وجود المعلومات، عندما يأتي العلم ينبغي أن تتجمع، عندما نقول قال الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فينبغي أن تتجمع لا أن تتفرق، فالمعلومة تجمعنا، الاختلاف لعدم وجود المعلومة أمر طبيعي، لكن أن يوجد العلم والهدى والمنهج، ثم تتفرق أجزاها وشيعا، فهذا هو غير الشرعي، ولا الطبيعي، ولا الموضوعي، فبدلاً من أن يكون العلم جامعاً لهؤلاء على الحق، أصبح صارفاً عن الحق والعباد بالله، الآية مخيفة: (وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ) لكن لم يأخذوا العلم على أنه منهج الله فينبعوه، قال: (مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ) فاصبح التباغض والتحاسد والانتصار للذات، والرغبة في تحطيم الآخر، هو ذنب هؤلاء، بدلاً من أن يجمعهم العلم فرفقهم.

أيها الإخوة الكرام: قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُخَكِّمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ ۚ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۚ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (213)

(سورة البقرة)

لماذا أنزل الله الكتاب؟

لماذا أنزل الله الكتاب؟ قال: (لِيُخَكِّمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ) فإن تنازعنا، رددنا الأمر إلى كتاب الله، فحكم كتاب الله بيننا (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُخَكِّمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ) لقد أنزل الله الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، فإذا كثُر من اتباع الكتاب، بدلاً من أن يحكم الكتاب فيما اختلفوا فيه، أصبحوا يختلفون فيما حكم الكتاب به، أنزل الله الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، فإذا بعض المسلمين للأسف، جعلوا يختلفون فيما حكم الله تعالى به، وهذه مصيبة المصائب.

أيها الإخوة الكرام: عن عائشة أمنا رضي الله عنها وأرضاها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل افتتح صلاته فقال: وانظروا إلى هذا الحديث العظيم، ولتأدب جميعاً بأدب رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول:

{ اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطْرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اهْدِنِي لِمَا

اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }

(أخرجه مسلم)

من الذي يدعو؟ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) هذا الدعاء ينبغي أن يكون ذنبنا، أن ندعو الله أن يهدينا لما اختلف فيه من الحق بإذنه جلَّ جلاله.

أعظم تفرق يفث في عَصْدِ الْأُمَّةِ وَيُفْرِحُ أَعْدَاءُهَا بَهَا أَنْ تَتَفَرَّقَ فِي الدِّينِ:

أيها الإخوة الكرام: إنَّ أعظم تفرق يفث في عَصْدِ الْأُمَّةِ وَيُفْرِحُ أَعْدَاءُهَا بَهَا، أَنْ تَتَفَرَّقَ فِي الدِّينِ، قد تفرق سياسياً فبرى كلُّ رأيه في مسألة سياسية، ممكن، طبعاً بعيداً عن مُمَالَةِ الطُّغَاةِ وَالظَّالِمِينَ، هذا ظلم في الدين، أحدث عن رأي سياسي مُعَيَّن، كل منهم يرى رأيه فيه، قد تفرق على ذلك، قد تفرق في الاقتصاد، فهناك أصحاب النظرية الاقتصادية الاشتراكية والرأسمالية، إلى آخره...

قد تفرق في الاقتصاد، لكن أعظم فرقة أن تفرق في دين الله، لأنَّ الدين يجمعنا ونحن نتفرق فيه، هو جاء ليوحدنا، لنقف جميعاً إلى قِبَلِهِ وَاحِدَةً، وَلِنُصَلِّيَ مَعاً، وَلِنُجْتَمِعَ عَلَى الصَّلَاةِ مَعاً، وَلِنَرْكُعَ مَعاً، وَلِنَسْجُدَ مَعاً، وَلِنُخِجَ الْبَيْتَ فَنُطْوِفَ مَعاً، وَلِنَسْعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ مَعاً، وَلِنُصُومَ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، وَنُفْطِرَ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، فِي بَلَدٍ وَاحِدٍ، جَاءَ الدِّينَ لِيَجْمَعَنَا، هَدَفَ مِنْ أَهْدَافِ الدِّينِ الْعَظِيمِ، أَنْ يَجْمَعَ النَّاسَ عَلَى الْخَيْرِ، عَلَى الْحَقِّ، عَلَى الْهُدَى، فَأَعْظَمُ مَا يُمْكِنُ أَنْ نَفْعَلَ أَنْ تَتَفَرَّقَ فِي الدِّينِ، وَأَنْ تَحَارِبَ فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى.

أيها الإخوة الكرام: قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (13)

(سورة الشورى)

ما الذي شرعه الله تعالى من الدين؟

ما الذي شرعه الله تعالى من الدين؟ أن نُقيم الدين وأن لا نتفرَّق فيه، إقامة الدين تحدُّثنا عنها في الخطبة السابقة، عندما تحدَّثنا عن دين القيمة، أن نُقيم الدين منهجاً في حياتنا، أن نُقيم الدين حقيقةً، أن يكون الدين هو الباعث لنا على كل فعل وكل ترك، أقيموا الدين، اجعلوه منهج حياة لا تجعلوه مُجرَّد اسم تنتسبون إليه، أو آيات تُزينون بها صدر بيوتكم أو محلاتكم التجارية، اجعلوا الدين منهج حياة **(أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ)** إياكم أن تتفرَّقوا في الدين، هذا ما شرعه الله تعالى، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (153)

(سورة الأنعام)

قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية: أمر الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنما أهلك من كان قبيلهم، بالبراء والخصومات في دين الله.

هَلَكَ مَنْ قَبْلَنَا بجدالهم في المسائل الفرعية، وفي خوضهم في الأشياء الثانوية، وتركهم لجوهر الدين، هلكوا.

الدين الحق يجمع ولا يُفَرِّق:

أيُّها الإخوة الكرام: متى نتفرَّق في دين الله؟ لماذا نتفرَّق في دين الله؟

أولاً: الدين الحق يجمع ولا يُفَرِّق، الدين الحق الذي أنزله الله يستحيل أن يُفَرِّقنا، لكن أخبرتكم في الخطبة الماضية، أن هناك ديناً وأن هناك تدبُّباً، التدبُّب هو فهم الناس للدين، التدبُّب المُشَوِّه المغشوش قد يُفَرِّقنا، لكن الدين الحق يدعو إلى الوحدة، إلى التآلف، إلى وحدة القلوب والمشاعر، فالدين لا يُفَرِّق، ولكن التدبُّب أحياناً، أو الدين ليس دين الحق الذي أنزله الله يُفَرِّق، أمَّا عندما يكون الدين بعيداً عن التعصُّب والأهواء والانصراف للذات، فلا يُفَرِّق قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِبَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (159)

(سورة الأنعام)

والله هذا الوعيد وحده من الله، أن يأتي من الله إلى رسوله صلى الله عليه وسلم ويقول له: **(لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ)** لا هم منك ولا أنت منهم، الذين يُفَرِّقون دينهم ويجعلونه أحزاباً وجماعات ويتفرَّقون فيه، وكل فرقة تُهاجم الفرقة الأخرى، قال: **(لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ)** وعيد شديد.

لماذا يتفرَّق الناس في دين الله؟

أيُّها الإخوة الكرام: لماذا يتفرَّق الناس في دين الله؟

أولاً: نتفرَّق في دين الله عندما نُسمِّي أنفسنا بأسماء جماعاتنا الضيقة:

أولاً: نتفرَّق في دين الله عندما نُسمِّي أنفسنا بأسماء جماعاتنا الضيقة، ولا ننتمي إلى مجموع المؤمنين، لا نُسمِّي أنفسنا بما سمَّانا الله تعالى به، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أَيْبَكُمْ إِتْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۖ فِئَعَمُ الْمُؤَلَّى وَنِعَمُ النَّصِيرِ (78)

(سورة الحج)

الله تعالى سمَّانا مسلمين، ثم نلجأ إلى تسميات أخرى ضيقة، فأقول: أنا أنتمي إلى الجماعة الفلانية، طبعاً انتماء تحزُّب وضيق وليس بيان أنني أحضُر هنا مثلاً، وإنما انتماء تضيق للواسع، أنا من جماعة فلان! أنت من جماعة المسلمين **(هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ)** فلماذا نرتضي لأنفسنا جماعات ضيقة وأحزاب ضيقة، ولا ننتمي إلى مجموع الأمة، عندما تجعل الولاء للجماعة، فأبها هو الصواب وراي غيرها هو الخطأ، عقيدتها هي السليمة، وغيرهم إن لم يكونوا على عقيدتهم فهم في ضلالٍ مُبين، في أقل الأحوال، إن لم يكونوا في نار جهنم جميعاً، عندها تتفرَّق في دين الله.

ثانياً: نتفرّق في دين الله عندما نتنازع ونتناحر في القضايا الفرعية:

ثانياً: نتفرّق في دين الله عندما نتنازع ونتناحر في القضايا الفرعية، ونشغل عن أصول ديننا ومقاصده الكبرى العظيمة، مكان النقاش أئها الكرام، في القضايا الشرعية التفصيلية، في العقيدة أو الفقه، مكانها ليس على الفيسبوك، مكانها في البوك، في الكتاب، الناس يضحكون علينا، الناس يشمتون بنا، أعداؤنا يتفجرون علينا ويضحكون! مكان النقاش في القضايا الفرعية والتفصيلية على البوك وليس في الفيسبوك، في الكتب، يجتمع بعض طلاب العلم، يجلسون بأدب العلم وبأدب الاختلاف، ويقرؤون ويناقشون، مسلم اليوم يحتاج أن يُعلمه دينه، الطهارة، الصلاة.

والله هناك قُرى بعيدة عئاً، الناس فيها يحتاجون أن يتعلموا قراءة الفاتحة، وهذا لا أقوله هكذا مُرسلاً، وإنما أقوله وقد رأيته بعيني، الناس يحتاجون أن يُعلمهم قراءة الفاتحة وأداء الصلاة، وكيفية الطهارة، وأن تُحبهم بالله، وأن نُعرّفهم على أسمائه الحُسنى، لا يحتاجون أن تُحدّثهم عن العقيدة الأشعرية وعقيدة أهل الحديث والأثر، ما له ولها؟! سلّه الآن أنت أشعري أو أثري؟ يقول لك: لا أعرف الأشعرية ولا الأثرية، ونحن نتنازع على الفيسبوك ونتقاتل، والناس ينتظرون منّا أن نتعاون وأن نتألف.

ثالثاً: نتفرّق في الدين عندما نعتقد ثم نستدل:

أئها الإخوة الكرام:

ثالثاً: نتفرّق في الدين عندما نعتقد ثم نستدل، الأصل أئها الكرام أن الإنسان يستدل ثم يعتقد، أي يقرأ الآية فيعتقد من خلالها، بعض المسلمين اليوم، قال له شيخه فلان الأمر الفلاني، وقد يكون شيخه خطأ، وليس منّا معصوم، فهو يعتقد بهذا الأمر ثم يبحث عن دليل له، هذا يُقرّنا في دين الله، نحن الأصل عندنا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (59)

(سورة النساء)

أي إلى كتاب الله وسُنة رسوله، فنحن نحكم بالدليل، لكن لا نعتقد ثم نستدل لاعتقادنا، الأصل هو كتاب الله، والأصل هو سُنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

في العالم الإسلامي اليوم ثلاث مدارس كبرى لا نستطيع أن نلغي واحداً منها:

أئها الإخوة الأحباب: حتى أدخل بشيء من التفصيل، في العالم الإسلامي اليوم، ثلاث مدارس كبرى شتتاً أم أئينا، لا نستطيع أن نلغي واحداً منها، ثلاث مدارس كبرى:

المدرسة الأولى تعتنى بالتزكية:

المدرسة الأولى تعتنى بالتزكية، يعني دَبّتها التزكية، تزكية النفس، النهوض بها إلى خالقها، تحبيبها بالله تعالى، هذا جُلّ عنايتها، لا يعني أنها تترك الأشياء الأخرى، ولكن ينصرف جُلّ جهدها إلى تزكية النفس، هذه مدرسة.

المدرسة الثانية تعتنى بالآثار:

المدرسة الثانية تعتنى بالآثار، تأخذ النصوص وتعمل بها كما هي، هذا جُلّ عنايتها، بالحديث الصحيح، بفهم الآية وفق ما ورد من أقوال عن الصحابة الكرام إلى آخر... وهذا أيضاً لا يعني أنها لا تعتنى بالتزكية، ولكن هذا جُلّ اهتمامها، جُلّ اهتمامها أنها تعتنى بالآثار.

المدرسة الثالثة هي المدرسة الحركية:

والمدرسة الثالثة هي المدرسة الحركية، التي تؤمن بأن الإسلام ينبغي أن تتحرك فيه، يعني عمل قرآني، عمل مسجدي، عمل للوصول إلى مفاصل في الدولة، من أجل إحقاق الحق وإبطال الباطل، تؤمن بالحركة، الإسلام الحركي يُسمّونه، الإسلام واحد أئها الكرام، لكن نحن بخكم سنوات طويلة، أصبح الناس عموماً، منهم من ينتمي إلى مدرسة التزكية، ومنهم من ينتمي إلى مدرسة الأثر، ومنهم من ينتمي إلى مدرسة الحركة، العمل للإسلام وخدمة الإسلام، بغض النظر عن الأشياء الأخرى، هذا هو الواقع، وهئنا ينشأ دائماً تناحر وتقاتل بين هذه المدارس الثلاثة للأسف الشديد، وأعداؤنا يترصبون بنا.

التزكية جزء رئيسي في ديننا بل إنها مُقدّمة على العلم:

دعونا أئها الكرام تأخذ من التزكية التزكية المُنضبطة، اقرؤوا إن شئتم على سبيل المثال وليس الحصر، "مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين" للإمام ابن القيم الجوزية، اقرؤوا هذا الكتاب في التزكية، تجد انضباط عجب في التزكية والوصول إلى الله، منزلة الإخلاص، منزلة الخُب، منزلة الفتوة، منزلة الغربة في دين الله تعالى، يُركي نفسك، ينهض بها إلى الله، التزكية المُنضبطة البعيدة عن الشطط والغلو والخرافات والإشكالات التي تُفرّق ولا تجمع، تزكية مُنضبطة نحن بحاجة، هل هناك مسلم اليوم يُنكر التزكية؟ التزكية جزء رئيسي في ديننا، بل إنها مُقدّمة على العلم، لَمّا دعا إبراهيم ربّه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَتُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (129)

(سورة البقرة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَتُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (164)

(سورة آل عمران)

فلما أجابه قدّم التزكية على العلم، وكأنه يقول له يا إبراهيم التزكية أولاً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (9)

(سورة الشمس)

لأن التزكية تطهر النفس بها، وترقى إلى خالقها، ثم يأتي العلم فيُصب صباً في قلبٍ تقيٍ نقيٍ قريبٍ من الله.

ما جاء عن الله ورسوله من الحديث الصحيح هو الأساس وهو مُقدّم على كل رأي وكل اجتهاد:

ودعونا نأخذ من مدرسة الأثر أننا نلتزم دائماً بالنبوض الصحيحة، ولا نتكلف أحياناً في تأويلها وشذوها إلى هنا وهناك، وإنما ما جاء عن الله تعالى وعن رسوله صلى الله عليه وسلم، من الحديث الصحيح فهو الأساس، وهو مُقدّم على كل رأي وكل اجتهاد وكل نقاش.

إذا تحركنا يجب أن نتحرك حركة مدروسة واعية كحركة رسول الله في الهجرة:

ودعونا نأخذ من المدرسة الحركية العمل لخدمة الإسلام المُنضب، الذي لا يؤدي إلى كوارث وإلى دمار، من أجل تصرفاتٍ فردية، ربما تكون ليست من شرع الله تعالى، يعني نتحرك لكن حركة مدروسة واعية، كحركة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة، حركة مدروسة واعية للتغيير نحو الأفضل، لكن ليست حركة عشوائية تؤدي إلى العودة بنا إلى الوراء، فكل مدرسة فيها ما يأخذها، فنتعاون جميعاً على هذا المُتفق عليه، ونأخذ من كل مدرسة، أنت لن تستطيع اليوم، أن تُقنع رجلاً له مذهب عقدي مُعَيّن، أنا شخصياً بمسيرتي الدعوة المتواضعة جداً، لا أعلم أنّ نقاشاً قاد إلى أن ينجز أحد الطرفين إلى الطرف الآخر، للأسف، كل إنسان مُتشبّث، دعه، أنت الأمر الذي استقرّ عندك أنه الحق أنت ملزم باتباعه، أنت وجدته الحق أنت ملزم باتباعه، لكن هو له مدرسة أخرى انصح له إن كنت تعرفه، إذا كان هناك شذوّد واضح، خروج عن المنهج واضح، لا خلاف فيه على أنه غلط، فانصح له بهدوء، لكن لا يؤدي ذلك إلى التنازع بيننا، فوحدة الصف مُقدّمة اليوم.

لنبتعد من كل مدرسة عن الأشياء التي تُفرّق:

أيّها الإخوة الكرام: ولنبتعد بعد ذلك من كل مدرسة عن الأشياء التي تُفرّق، دعها بينك وبين نفسك، لنبتعد عن الشطط والجرفات والأشياء التي تُفرّقنا ولا تجمعنا، ولنبتعد عن الغلظة والقسوة في الدعوة إلى الله، ومواجهة الآخر بقوة وكأنه كافر أمامك، وهو مسلمٌ يشهد أنّ لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، ولنبتعد أيضاً عن حركةٍ طاهرها خيرٌ للأمة، ولكن قد يكون فيها في المال تراجع ودمارٌ للأمة.

أيّها الإخوة الكرام: يقول صلى الله عليه وسلم:

{ مَا صُلِّ قَوْمٌ بَعْدَ هَٰذِهِ إِلَّا كَانُوا عَلَيَّ إِلَّا أَوْتُوا الْجَدَلَ ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ مَا صَرَّبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ }

(أخرجه الترمذي وابن ماجه)

الهدف الجدال فقط، الهدف أن أنتصر لذاتي أو لشيختي وأملاً وسائل التواصل بالعبارات التي تزيد المشكلة، وتُعظمها، وتُفاقمها، ولا تحلّها أبداً.

حماية شُعبة الصف الإسلامي أولى من خلافاتنا الضيقة:

حماية شُعبة الصف الإسلامي أيّها الكرام، أولى من خلافاتنا الضيقة، حتى لو وجدت أنّ الحق معك، وقلت لكم الإنسان يحد أنّ الحق هنا، ويتبعه، وهو مأجورٌ على ذلك، لكن حتى لو وجدت أنّ الحق معك فاتبعته، لكن لا ننشر هذه الخلافات على وسائل التواصل، أنا لا أنكر وجودها، لكن لا أنشرها على وسائل التواصل، وتتقاذف التهم وتتبادل، وقد رابت ذلك بعيني وسمعت به أذني، تتبادل الشباب والشبان وأنت مسلمٌ وهو مسلمٌ.

النبي صلى الله عليه وسلم لما كُشف أمر عبد الله بن أبي بن سلول، وهو زعيم المنافقين وكُشف أمره واستحقَّ العقاب، جاءه بعض أصحابه، أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: نقتل عبد الله بن أبي، حتى جاءه ابنه وقال له: إن شئت قتلته أنا حتى لا أنظر إلى قاتل والدي، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول كما في الصحيح:

{ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَزَاةٍ، فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا بَالُ دَعَاؤِ الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: دَعُوهَا، فَإِنَّهَا مُنِيَّةٌ فَسَمِعَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي قَالَ: قَدْ فَعَلُوهَا، وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ. قَالَ عُمَرُ: دَعْنِي أَصْرِبُ عُقُقَ هَذَا الْمُتَأَوِّقِ، فَقَالَ: دَعْنِي، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقُولُ أَصْحَابَهُ }

(صحيح مسلم)

لا أقنله لأنَّ الناس سيقولون محمداً يقتل أصحابه، وسنُشَوِّه شُمة الصف الإسلامي، ولن يدخل الناس في دين الله، لأنهم يرونه ديناً يقتل الناس الذين هم معه، الناس لا يعرفونه منافقاً، لا يعرفون أنه عبثٌ ضمن الصف الإسلامي، يعلمونه رجلاً من أصحاب رسول الله، فالنبي صلى الله عليه وسلم حمى شُمة الصف الإسلامي، حمى المجتمع المسلم، ونحن واجبنا اليوم أن نحمي شُمة ديننا (لا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقُولُ أَصْحَابَهُ) لا يتحدث الناس أننا مُتَفَرِّقُونَ مُتَنَازِعُونَ، لا يتحدث الناس أنَّ اختراقنا سهل، لا يتحدث الناس أنَّ التَّيْلَ مَثَا أَصْبَحَ وَشَيْكَاً جَدًّا، لا يتحدث الناس أنَّ العقيدة تُفَرِّقُ النَّاسَ ولا تجمعهم، يقولون: هذه هي العقيدة، تجمعون على دين الله، انظروا كيف تتناحرون! لا يتحدث الناس أنَّ الدين لا يصلح منهج حياة، فلننتبه إلى أقوالنا وأفعالنا، فإننا مؤاخذون عن كل كلمة نقولها أو نكتبها، أو ننشرها، الدين يجمعنا ولا يُفَرِّقنا، وتديننا المعشوش أو المُشَوِّه هو الذي لا يصلح منهج حياة، أمَّا ديننا كما أنزله الله تعالى فهو منهج حياة يشمل كل تفاصيل حياتنا (أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ).

أيُّها الإخوة الكرام: حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسِبُوا، وزِنُوا أَعْمَالَكُمْ قبل أن تُوزَنَ عَلَيْكُمْ، واعلموا أنَّ مَلَكَ الموت قد تخطَّأنا إلى غيرنا وسيخطئ غيرنا إلينا فلنخذ حذرنا، الكَيْسَ من دان نفسه وعمل لِقَا بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمتَّى على الله الأمانى، واستغفروا الله.

الحمد لله ربِّ العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وليُّ الصالحين، اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميدٌ مجيدٌ.

الدعاء:

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، إنك يا مولانا سميعٌ قريبٌ مجيبٌ للدعوات.

اللهم برحمتك عُمَّنا، واكفنا اللهم شرَّ ما أهَمَّنَا وأَعَمَّنَا، وعلى الإيمان الكامل والكتاب والسُّنة توقُّفاً، نلُفَّاك وأنت راضٍ عَنَّا، لا إله إلا أنت سبحانك إِنَّا كُنَّا مِنَ الظَّالِمِينَ، وأنت أرحم الراحمين.

وارزقنا اللهم حُسْنَ الخاتمة، واجعل أسعد أيامنا يوم نلُفَّاك وأنت راضٍ عَنَّا، أنت حسينا عليك اتكالنا.

اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وما قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وعَمَلٍ، ونعوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وما قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وعَمَلٍ.

اللهم فارح الهم كاشف الغم، مُجِيبُ دَعَاءِ الْمُضْطَرِّينَ، رَحِمَنُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَرَحِيمُهُمَا، أنت ترحمنا، ارحمنا برحمةٍ من عندك تُغْنِنَا بِهَا عَمَّنْ سِوَاكَ.

اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم، ولا تُعَذِّبْنَا فَإِنَّكَ عَلَيْنَا قَادِرٌ، وَالطُّفُّ بِنَا وَبِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ فِيمَا جَرَتْ بِهِ التَّقَادِيرُ، وَدَبَّرَ لَنَا فَإِنَّا لَا نُحْسِنُ التَّدْبِيرَ.

اللهم يا أرحم الراحمين، كُنْ لِلْمُسْلِمِينَ فِي السُّودَانِ وَفِي غَرَّةٍ وَفِي كُلِّ مَكَانٍ يُذَكِّرُ فِيهِ اسْمُكَ عَوْنًا وَمُعِينًا، وَنَاصِرًا وَحَافِظًا وَمُؤَيِّدًا وَأَمِينًا.

اللهم عليك بَمَنْ تَأْمُرُ عَلَيْهِمْ، اللهم عليك بِمَنْ كَادَهُمْ، اللهم قد أَرَبْنَا مَكْرَهُمْ بِنَا، فَأَرِنَا مَكْرَكَ بِهِمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ.

اللهم مُجْرِي السَّحَابِ، مُنْزِلُ الْكِتَابِ، هَازِمُ الْأَحْزَابِ، سَرِيعُ الْحِسَابِ، اهْزِمِ الصَّهَابَةَ الْمُعْتَدِينَ وَمَنْ وَالَاهُمْ وَمَنْ أَبَدَّهُمْ وَمَنْ وَقَفَ مَعَهُمْ فِي سِرٍّ أَوْ عَلَنَ.

واصرف عن بلادنا كيدهم وتأمرهم يا أرحم الراحمين، وهبْ لِبِلَادِنَا أَمْرًا تُشَدُّ بِعِزِّهِ أَهْلَ طَاعَتِكَ وَتُهْدِي فِيهِ أَهْلَ عَصِيَانِكَ، وَيُؤَمِّرُ فِيهِ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى فِيهِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَوَقِّقُ الْقَائِمِينَ عَلَيْهِ لَمَّا فِيهِ مَرَضَاتُكَ، وَلِلْعَمَلِ بِكِتَابِكَ وَسُنَّةِ نَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.